قربه تبارك وتعالى ودنوه من عباده

قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

روى الشيخان من حديث أبى هريره قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشى أتيته هرولا.

روى مسلم من حديث أبى موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عَنَق راحله أحدكم.

روى مسلم من حديث أبى هريره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء

وهذا القرب الذي وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينافي علو الله تعالى بل هو سبحانه بإجماع السلف قريب في علوه عال في قربه لأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال الامام الدارامي توفى سنه (280) هـ

من أمن أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماوته علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إليه من أسفله وأن السماء السابعة أقرب إليه من السادسة وهكذا إلى الأرض. وقرب الله الى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد وبعض الخلق أقرب من بعض مثل أمر السماوات.

وكذلك قرب الملائكة من الله فحمله العرش أقرب إليه من السماء السابعة وقرب الله إلى جميع ذلك واحد. ا.هـ

ما المقصود بقرب الله تعالى؟

على أقوال: -

الاول: -يكون بتقريب العبد إليه فكلما قرب منه العبد كان الله تعالى قريبا منه بالضرورة.

مثال ذلك (ولله المثل الأعلى) كمن قرب الى مكة فإنها تكون قريبه منه بالضرورة دون أن يلزم منها حركه.

الثاني: -المراد بقرب الله تعالى قربه بعلمه وقدرته وهذا القرب محل إجماع بين أهل السنة وهذا القرب (بعلمه وقدرته) من لوازم ذاته مثل العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه لم يزل عالما ولم يزل عليهم قادرا.

الثالث: -أن الله تعالى يقرب بنفسه ولا يدري عن كيفيته.

مثال ذلك: -كقرب الانسان إلى من يتقرب هو إليه {من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا}.

وهذه الانواع الثلاثة من القُرب إنما تُعرف من خلال النظر إلى النص الوارد بالقُرب فيُحمل على المعنى الذي دل عليه.

قال شيخ الإسلام:

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ الْقُرْبِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِيهِ قُرْبُهُ يُرَادُ بِهِ قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ بَلْ يَبْقَى هَذَا مِنْ الْأُمُورِ الْجَائِزَةِ وَيُنْظَرُ فِي النَّصِّ الْوَارِدِ فَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ وَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ

الخلاصة

أن أهل السنة والجماعة يثبتون قرب الله تعالى قربا يليق بجلال عظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وأن هذا القرب لا ينافي علوه وليس كمثله شيء.

ملحوظه مهمه على أنواع القرب الثلاثة: -

القول الأول والثالث خاصه بالمؤمن ويدخل فيه الثاني: تقرب الله من عبده المؤمن بالإجابة أو أنه يقرب من عبده بنفسه أو أنه يقرب من عبده بتقريب عبده إليه.

فالمراد هنا بالعبد المؤمن، وعليه فيكون القرب هنا من صفاته الفعلية الاختيارية.

وإذا فسرنا القرب بمعنى قربه بعلمه وإحاطته وقدرته فلا شك أنه يشمل جميع العباد مؤمنهم وكافرهم ويكون القرب على هذا المعنى صفه ذاتيه لازمة له تعالى.

وعليه فالراجح أن القرب نوعان: -

أحدهما: -قرب عام يتضمن علمه بكل شيء وقدرته على كل شيء.

الثاني: -قرب خاص يتضمن دنوه وقربه ممن شاء من عباده وتقريبه لمن يشاء منهم ولا ندرى عن الكيفية.

والقرب العام المعنى هو وصف القرب وإن جاء بغير لفظ القرب ولكن جاء بلفظ أخر يحمل هذا المعنى.

شبهة وجوابها:

قال تعالى {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}

قال تعالى {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ}

قال اهل البدعة إن القرب في الآيتين بالذات.

الرد: -قال شيخ الإسلام توفى سنه (٧٢٨) هـ

وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الرَّبِّ فِي قَلْبِ كُلِّ أَحَدٍ كَافِرٍ أَوْ مُؤْمِنٍ فَهَذَا بَاطِلٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا نَطَقَ بِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ بَلْ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ مَعَ الْعَقْلِ يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

ومن سياق الآيتين يدل على أن المراد بها الملائكة وبرهان ذلك قوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}

أن القرب قُيِّدَ بهذا الزمان وهو زمان تلقى الملتقيان قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال. فلو كان القرب بالذات لم يختص ذلك بهذه الحالة ولم يكن لذكر القعيدين الرقيب والعتيد معنى مناسب.

وعليه فالمعنى بالقرب في الآيتين الملائكة فإن النص جاء ونحن أقرب إليه ولم يقل وأنا أقرب إليه.